Journal of Al-Azhar University Engineering Sector

Vol. 17, No. 63, April 2022, 820 - 841

A PROPOSED TOWNSCAPE IMPROVEMENT FRAMEWORK FOR THE HISTORICAL AREASAS AN APPROACH TO SUSTAINABLE TOURISM DEVELOPMENT

Nagla Al-Abbad [1], Hanan Refaat [1], Waleed S. Alzamil [1*], Ziad Alamuddin [1]

Department of Urban Planning, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

*Corresponding author's E-mail: waalzamil@ksu.edu.sa

Received :17 Dec. 2021 Accepted: 29 Jan. 2022

Abstract

Townscape expresses the totality of the environmental and spatial composition that interacts within human activity; it reflects the city's characteristics in all its economic, social, environmental and cultural dimensions. Townscape improvement in the Kingdom of Saudi Arabia is linked to the National Vision 2030 and is an essential indicator of the quality of life. It also has a significant role in shaping the urban identity, promoting local culture, and supporting sustainable tourism development goals for urban areas. Through in-depth literature review and analysis of theoretical frameworks, the research paper raises a question about the nature of the dimensions that contribute to improving the townscape and its role in achieving sustainable tourism development. It became apparent that the historical areas, which are among the essential attributes of tourism development in cities, are subject to continuous urban deterioration and change in the demographic composition that negatively affected the social and economic aspects and led to the loss of historical identity and cultural value. Thus, the research problem emerged from the need to formulate a framework that emphasizes the importance of the townscape improvement of historical areas in achieving sustainable tourism development. The results of the research showed that there is a shared, integrated and interrelated relationship between the components of the townscape and the features of sustainable tourism development, which are represented in four main dimensions, namely the urban dimension, the cultural dimension, the social dimension, and the economic dimension. These dimensions formulate the basic structure to the proposed framework for the townscape improvement of historical areas as an approach to sustainable tourism development. The proposed framework also emphasized the importance of preserving historical and heritage sites, and creatin high-quality urban environments that have cultural significance, achieving economic returns, and supporting the sustainable tourism development process.

Keywords: Urban Heritage, Morphology, Urban Identity, Tourist Attraction, Visual Formation, Mental Image.

إطار مقترح لتحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية كمدخل للتنمية السياحة المستدامة

نجلاء بنت عبدالله العباد [١]، حنان رفعت [٢]، وليد بن سعد الزامل [٣]*، زياد علم الدين [٤]

١ طالبة ماجستير بقسم التخطيط العمراني، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
٢ أستاذ مساعد بقسم التخطيط العمراني، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
٣ أستاذ مشارك بقسم التخطيط العمراني، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.
٤ أستاذ مساعد بقسم التخطيط العمراني، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

* البريد الإلكتروني للمؤلف الرئيسي: waalzamil@ksu.edu.sa

الملخص

يُعبر المشهد الحضري في المدينة عن مُجمل التكوين البيئي والمكاني الذي يتفاعل ضمن النشاط الإنساني؛ وهو بمثابة انعكاس لخصائص المدينة بكافة أبعادها الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، والثقافية. ويرتبط تحسين المشهد الحضري في المملكة العربية السعودية بتوجهات الرؤية الوطنية ٢٠٣٠ ويعد مؤشراً هاماً لجودة الحياة، كما أن له دور رئيس في صياغة الهوية العمرانية، وتعزيز الثقافة المحلية، ودعم أهداف التنمية السياحية المستدامة للمناطق الحضرية. واستناداً إلى المراجعة والتحليل المتعمق للأدبيات والأطر النظرية، تطرح الورقة البحثية تساؤل حول ماهية الأبعاد التي تساهم في تحسين المشهد الحضري ودورها في تحقيق التنمية السياحية المستدامة. إن المناطق التاريخية تعد من أهم روافد التنمية السياحية في المدن. ومع ذلك، تتعرض هذه المناطق إلى تدهور عمراني مستمر وتغير في التركيبة الديموغرافية مما أدى إلى فقدان الهوية التاريخية والقيمة الثقافية. تكمن إشكالية البحث في الحاجة إلى صياغة إطار يؤكد على أهمية تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية في تحقيق التنمية السياحة المستدامة. لقد أظهرت نتائج البحث أن هناك علاقة متبادلة ومتكاملة بين عناصر المشهد الحضري ومقومات التنمية السياحية المستدامة والمتمثلة في أربعة أبعاد رئيسة، وهي البعد العمراني، والبعد الثقافي، والبعد الاجتماعي، والبعد الاقتصادي. لقد شكلت هذه الأبعاد البنية الأساسية لصياغة الإطار المقترح لتحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية كمدخل للتنمية السياحة المستدامة. أكد الإطار المقترح على أهمية دعم عمليات المحافظة على المواقع التاريخية والتراثية، وخلق بيئات عمرانية ذات جودة عالية تتمتع بالقيمة الثقافية والحضارية وتساهم في تحقيق عوائد اقتصادية تدعم عملية التنمية السياحية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: التراث العمراني، المورفولوجي، الهوية العمرانية، الجذب السياحي، التكوين البصري، الصورة الذهنية

١ـ المقدمة

تعد المناطق التاريخية أحد المصادر المعرفية التي تحمل في طياتها قيم ثقافية لمجتمعات بشرية عاشت بها وحرصت أن تتوارثها الأجيال من بعدها. إن المشهد الحضري في المناطق التاريخية يعبر عن الهوية الثقافية للمنطقة وهو الرابط بين الماضي والحاضر، وتسعى العديد من الدول في العالم لتحسين المشهد الحضري في مناطقها التاريخية، والعمل على حمايتها من التداعي العمراني (اليزيدي و الزامل، ٢٠٢١). ويعبر المشهد الحضري عن علاقة الإنسان بالمدينة والتكوينات المادية التي تفرزها الحياة الحضرية وصولاً إلى منتج عمراني يحقق احتياجات الحاضر وأجيال المستقبل. إن المشهد الحضري يشتمل على المكونات المادية للمدينة والتي ساهمت في تشكيلها الأبعاد الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتاريخية. وعليه يرتبط تحسين المشهد الحضري بالصورة البصرية والذهنية والتي تترافق مع الإطار الجوهري للمدينة بما تقدمة من خدمات وبنية تحتية تتفاعل مع احتياجات الإنسان وتحقق له السعادة والرفاهية.

لقد تناولت رؤية المملكة ٢٠٣٠ ثلاث مرتكزات تسعى لبناء مجتمع حيوي، واقتصاد مزدهر، ووطن طموح؛ وتتكامل هذه المحاور لتحقيق مستهدفات تُرجمت على هيئة برامج واستراتيجيات تنفيذية ضمن إطار حوكمة محدد زمنياً (الرؤية الوطنية، ٢٠٢٠). وفي ضوء برامج تحقيق الرؤية الوطنية، وَضع برنامج جودة الحياة هدف استراتيجي يتمثل بغرس المبادئ والقيم الوطنية، وتعزيز الانتماء الوطني، والمحافظة على التراث العمراني. وفي هذا السياق، يسعى برنامج جودة الحياة لتحقيق هدف "تحسين المشهد الحضري في المدن السعودية". كما ركز برنامج تعزيز الشخصية الوطنية على ترسيخ البعد الإنساني للمملكة العربية السعودية بكونها قلباً للعالمين العربي والإسلامي.

لقد أكدت وزارة السياحة منذ إنشاءها على مستهدفات الرؤية الوطنية ٢٠٣٠ في تحقيق "تنمية سياحية متوازنة ومستدامة تقل فيها الآثار البيئية أو الاجتماعية أو الثقافية السلبية، ويستفاد منها كأداة للمحافظة على البيئة وإبراز البعد الثقافي والاجتماعي والحضاري للمملكة العربية السعودية" (وزارة السياحة، ٢٠١١، صفحة ٢٨). إن تحسين المشهد الحضري واستثمار الهوية العمرانية للمناطق التاريخية يمكن أن يساهم في المحافظة على الإرث الثقافي السعودي وإبرازه في إطار التنمية السياحية. وتعد السياحة من أهم القطاعات التنموية التي توليها المدن اهتماما كبيرا وتسعى لتوظيف ما تملكه من مقومات لتنشيطها، بغرض استقطاب الزوار من مختلف أنحاء العالم. لذلك، فإن تحسين المشهد الحضري في المناطق التاريخية يضمن الأصالة والحفاظ على هويتها من عوامل التلف العمراني، لتظل شاهداً للحاضر والمستقبل (Al-Askary & Al-Kaissi, 2016). كما يمكن أن يساهم تحسين المشهد الحضري في إحياء المناطق التاريخية وتنشيط بيئة سياحية جذابة سواء للسكان الأصليين أو السياح.

تناقش هذه الورقة البحثية الأدبيات النظرية حول ماهية الأبعاد التي تساهم في تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية ودورها في تحقيق التنمية السياحية المستدامة. وتسعى الورقة لصياغة إطار يؤكد العلاقة بين تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية كمدخل للتنمية السياحة المستدامة ويعزز من نجاح التنمية السياحية للمناطق التاريخية في المملكة العربية السعودية.

١-١- إشكالية البحث

تتعرض المناطق التاريخية في المدن لتداعي عمراني، وتغير مستمر في التركيبة الديموغرافية يصاحبه فقدان للهوية التاريخية والقيمة الثقافية لتلك المناطق. ويأتي هذا التداعي نتيجة لمقتضيات الحداثة والنمو العمراني المتلاحق وما يرافقه من تغيرات اقتصادية واجتماعية أثرت سلباً على المناطق التاريخية. لقد أشارت دراسة تتعلق بعملية تحسين المشهد الحضري وكيفية تحقيق تكوين عمراني مستدام إلى أن مدينة القاهرة التاريخية، كمثيلاتها من المدن العربية القديمة، مرت وما زالت تمر بعمليات تحول سريع في نسيجها الحضري وطابعها الفريد، حيث وصلت إلى مرحلة حرجة من تدني الوضع الاقتصادي والمادي لسكانها وسياقها الحضري، إضافة إلى سوء الإدارة (Shokry, 2009). وفي دراسة أخرى تطرقت إلى الجوانب الرئيسة التي تميز بعدين مختلفين وهما: الحاجة إلى الجمع بين السياحة والمدينة في الاستدامة، حيث أكدت في الوقت ذاته كيف يمكن للسياحة الثقافية أن تكون حلقة وصل بين هذين البعدين. كما سلطت هذه الدراسة الضوء على بعض الفجوات الموجودة في مؤشرات البيئة المبنية الحالية بشكل عام والآثار المحتملة التي تحدثها السياحة (Lerario & Di Turi, 2018).

وهذا يدل على أن المشهد الحضري للمناطق التاريخية المتدهورة ينقل الصورة المادية للآثار السلبية لتلك المتغيرات سواء من خلال التباين في ألوان وأشكال المباني، أو التدهور العمراني للبيئة المبنية. وهكذا تتأثر المناطق التاريخية سلبياً نتيجة غياب القيمة التاريخية أو الثقافية، أو العمرانية أو الفنية. ومن هذا المنطلق، تكمن إشكالية البحث في الحاجة إلى صياغة إطار يؤكد العلاقة بين تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية والتنمية السياحة المستدامة.

١-٢- هدف الدراسة

تهدف هذه الورقة إلى صياغة إطار يؤكد العلاقة بين تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية والتنمية السياحية المستدامة، بما يساهم مستقبلاً في الارتقاء بمشاريع تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية واستثمارها سياحياً وبشكل ينسجم مع توجهات الرؤية الوطنية ٢٠٣٠. كما يسعى البحث إلى تحقيق عدد من الأهداف الثانوية التالية:

- تحليل عناصر المشهد الحضري للمناطق التاريخية ودورها في إطار التنمية السياحية المستدامة.
- استنتاج الأبعاد التي تساهم في تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية.

١-٣- أهمية الموضوع

تأتي أهمية البحث لكونه يؤطر للعلاقة بين المشهد الحضري والتنمية السياحية للمناطق التاريخية وبشكل يتماشى مع توجهات الرؤية الوطنية في تحسين المشهد الحضري للمدن السعودية واستثمار البعد الثقافي كمدخل للتنمية السياحية المستدامة. إن نتائج هذا البحث سوف تزود صُناع القرار بتوصيات حول التدابير والآليات الممكنة التي

تعزز من تكامل عناصر تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية واستثمارها في تحقيق الجذب السياحي محلياً، وبما يساهم في توحيد الجهود نحو استدامة مشاريع التحسين الحضري في المدن السعودية.

٢- الإطار النظري

٢-١ مفهوم المشهد الحضري

أشار Fairclough (2016) أن هناك علاقة بين مجموعة عناصر يجب أن تؤخذ بالاعتبار عند صياغة تعريف شامل للمشهد الحضري، وأكد "إنه في البناية المستقلة يمكن أن نستشف جمال هذه العمارة، ولكن في مجموع العناصر الفيزيائية كالأبنية، والأشجار، والماء نفهم جمال فن العلاقة بين هذه العناصر لتعطي مشهداً واحداً متناغماً" (Fairclough, 2016, p. 17). وفقاً لذلك، فإن التنظيم الكلي للمشهد الحضري وتوليد الإحساس الخاص به، لا يتحدد فقط بالعناصر المعمارية للأبنية، وإنما يرتبط بالنظرة الشمولية لجميع عناصر البيئة العمرانية.

أما Spreiregen (1965) فقد عرف المشهد الحضري من منظور الانطباع الذي يتشكل لدى سكان المدينة من تجربتهم للبيئة العمرانية، حيث أكد "أن المشهد الحضري يعبر عن الصورة الكلية التي استخلصها الناس عن مكونات المدينة، والانطباع الذي تشكّل من محتويات المدينة من الأبنية، والفضاءات والتجارب والذكريات والروائح ودراما الحياة والموت، والعلاقات الفيزيائية بينها. إن هذا التصور يختلف لكل شخص تبعاً لميوله ونزعاته، ويعتبر الشكل الفيزيائي المكون الأساسي للمشهد الحضري والذي يتكون من عناصر فيزيائية، وفضاءات وأنشطة وأنظمة حركة" (Spreiregen, 1965, p. 145). إن تشكيل هذه المكونات وترتيب علاقاتها البصرية ضمن الإطار الفزيائي الذي يتفاعل مع العناصر المتحركة كالفعاليات والحركة والأصوات والازدحام والهوية الثقافية تشكل في مجملها المشهد الحضري للمدينة.

يعتبر المشهد الحضري شاهداً على تطور ثقافة المجتمع خلال فترات زمنية متتابعة، حيث المفردات التراثية الأصيلة للمناطق التاريخية. ومن هنا تأتي أهمية تحسين المشهد الحضري للحفاظ على الهوية الثقافية ورفع مستوى وعي المجتمع بالقيم الثقافية والتاريخية، وتحقيق التوافق بين الحديث والقديم سواء على مستوى الكل أو على الجزء، وكذلك لتعزيز الفعاليات الثقافية والاجتماعية المعبرة عن التراث والأصالة وصولاً لتحقيق العوائد الاقتصادية للمدينة والمجتمع (Polat, 2015).

٢-٢ أهمية المشهد الحضري للمناطق التاريخية

تعبر المناطق التاريخية في المدن عن جملة القيم والعناصر والموروثات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لمجتمع المدينة والتي تتميز بالتنوع عبر فترات زمنية متلاحقة؛ إنها ليست مجرد عناصر مادية أو مباني قديمة (Hough, 1990). يؤدي التنوع الذي تتمتع به المناطق التاريخية إلى تشكيل صورة ذهنية فريدة، تسهم في تعزيز إدراك السكان للبيئة العمرانية وكذلك تسهيل قراءتها، ومن ثم التفاعل معها والارتباط بها. وتتركز أهمية تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية بكونها تحافظ على هوية المناطق التاريخية بتراثها القديم والأصيل، وبشكل يساعد على إدراك القيم والمفردات العمرانية التي تميزها عن غيرها من المناطق في المدينة. إن المشهد الحضري وسيلة للحفاظ على القيمة الفكرية والثقافية للمدينة، والتي تعد شاهداً مادياً على الماضي. ويرتبط المشهد الحضري بجذب السياحة الداخلية والخارجية، بالإضافة إلى الحفاظ على القيم الفكرية والثقافية التي تسرد تاريخ حقبة زمنية معينة (Conzen, 1981).

إن الفراغات العمرانية المحيطة بالمواقع التراثية تلعب دوراً كنقاط حركة محورية لتفعيل الأنشطة الثقافية والحضارية. فالقاهرة التاريخية، مثلاً، لديها من المقومات التي تعزز دورها بفعالية في قطاع السياحة، حيث أن مساراتها التاريخية تتمتع بإمكانيات تجعلها أكثر ملاءمة كمسارات لحركة المشاة وكمناطق للزائرين والسائحين (Shokry, 2009). لذلك، فإن المناطق التاريخية تشكل أحد أهم روافد السياحة، وأن مشهدها الحضري هو انعكاس لخصائصها العمرانية والحضارية والاجتماعية، والبيئية، والثقافية والاقتصادية، والتي بدورها تكون مفردات لأبرز عناصر الجذب السياحي لهذه المناطق (الزبيدي، ٢٠١٦).

٢-٣ مفهوم التنمية السياحية المستدامة ومقوماتها

تسعى التنمية السياحية لاستغلال جميع الموارد الطبيعة أو المادية أو الثقافية بأفضل طريقة ممكنة، بحيث يمكن توظيفها لزيادة النمو الاقتصادي وتحقيق مستويات عالية من الرفاهية في المدن. إن التنمية مفهوم شامل لا يقتصر على جانب واحد فقط، وإنما يؤكد على الارتقاء في عدة قطاعات، وعلى كافة المستويات من مختلف المجالات، وتعد التنمية السياحية أحد أهم المجالات التي تهدف الدول إلى الارتقاء بها لتحقيق مستهدفات اقتصادية، واجتماعية، وبيئية، وثقافية.

هذا وبالرغم من توفر العديد من البحوث الأكاديمية المتعلقة بمجالات التنمية السياحية المستدامة وتحليل آثارها المختلفة، فقد أكد كل من Lerario & Di Turi على صعوبة استخلاص الحلول والتجارب العملية وأن إعادة تأطير المفاهيم الأساسية للتنمية العمرانية السياحية أمر ضروري لملاء هذه الفجوة. كما أشار كليهما إلى مجموعة من المؤشرات في مجالات التنمية العمرانية والسياحة المستدامين، وأكدا أن التراث المستدام يعد العنصر المادي الرئيس للمدن؛ بل المحرك لعجلة السياحة الحضرية (Lerario & Di Turi, 2018).

لقد أشارت منظمة السياحة العالمية (World Tourism Organization, 2019) بأن السياحة المستدامة تؤكد على تحقيق توازناً مناسباً بين الأبعاد الاقتصادية، والاجتماعية، والبيئية، والثقافية وهي تلعب دوراً هاماً في الحفاظ على البيئة العمرانية. وتحاول التنمية السياحية المستدامة تقليل تأثيراتها على البيئة والثقافة المحلية بحيث تحافظ عليها للأجيال القادمة مع المساهمة في توليد الدخل وفرص العمل، والحفاظ على النظم البيئية المحلية. وفق هذا المنظور، تتطلب المشروعات التنموية المختلفة مقومات محددة، يشترط توفرها في المناطق المراد تنميتها لتحقيق الأهداف المرجوة. ويعتبر التراث العمراني واحد من أهم العناصر التي وُجب الحفاظ عليها لتحقيق التنمية السياحية المستدامة. إن للمشروعات التنموية المختلفة مقومات محددة، يشترط توفرها في المناطق المراد تنميتها لتحقيق الأهداف المرجوة. تعتبر المقومات الطبيعية، والعمرانية والثقافية والاقتصادية من أهم مقومات التنمية السياحية المستدامة، ويمكن إيجازهم في الآتي:

المقومات الطبيعية وتمثل أهم ميزة للمواقع بوجه عام، وللمواقع التاريخية بوجه خاص، فالطبيعة من صنع الخالق ولا يمكن تصنيعها. نراها في كل ماله قيمة جمالية، واستدامة تلك المواقع، من أهم مقومات تنميتها، والتي تدعو السياح من البيئات المختلفة لاكتشافه. لذلك فإن المقومات الطبيعية تعد من طبيعة المكان وليست من صنع الإنسان، ويأتي دور الإنسان في الحفاظ عليها (حاسين، ٢٠١٩). كما يعد الموقع الجغرافي للوجهة السياحية نقطة جذب رئيسة، حيث تتميز بعض المناطق بتواجدها على ضفاف الأنهار، أو وسط مناطق جبلية، أو تكون محاطة بمناطق ذات أهمية عالية، فيعطي المنطقة قيمة سياحية عالية. وتأتي الأحوال المناخية من الموقع الجغرافي، حيث تمتاز بعض المناطق بالمناخ المعتدل، أو بهطول الأمطار وكثرة الخضرة. لذلك وجد أن السياحة بالمناطق التاريخية ترتبط بطبيعة مناخ المنطقة (زين، ٢٠١٦). تتميز كل منطقة بطبيعة تضاريس مختلفة، تتنوع بين الجبال والهضاب والمرتفعات والمنخفضات وغيرها، قد تضفي طبيعة التضاريس على المناطق التاريخية مشهدا حضريا متنوع وجذاب، يلعب دور في تحقيق الجذب السياحي (الحربي، ٢٠١٢).

وتتمثل المقومات العمرانية عناصر البيئة المبنية التي صنعها الإنسان، حيث تنفرد بعض الدول بتاريخ عميق لنشأتها وحضارتها العريقة التي شيدت قصور وقلاع تعد شاهداً على تاريخها وتراثها. تعتبر المباني التاريخية والمتاحف الأثرية وعناصر التراث العمراني مصدر جذب للعديد من السياح من مختلف الثقافات والجنسيات، وذلك بغرض التعرف على تاريخ الدول واستكشاف التراث العمراني (الحربي، ٢٠١٢).

أما المقومات الثقافية فتتمحور في الخصائص الثقافية بما تحمله من تاريخ وديانات ومعطيات السكان المحليين وقيمهم وعاداتهم، وطبيعة مجتمعاتهم، وأنظمة عيشهم وأزيائهم حيث إنه لكل منطقة لباس وتقاليد معينة، وفلوكلورات، وحرف يدوية. يعد هذا التنوع مغرياً للسياح المستكشفين للثقافات المختلفة (زين، ٢٠١٦).

وتتمثل المقومات الاقتصادية بما تحمله المناطق التاريخية من مضامين وقيم تشكل وعاءً لاستقطاب الأنشطة والمهرجانات الثقافية. كما أنها تشكل فرصة للمجتمع المحلي والأسر المنتجة لتسويق المنتجات الزراعية والصناعات اليدوية للسياح والزائرين. وفي المجمل، تعد المناطق التاريخية مكان مناسب لاستثمار الطاقات وضمان استمرارية

الصناعات التقليدية في سوق العمل وحمايتها من الاندثار من خلال استقطاب الطاقات والجهات التدريبية الراعية والخبراء وهو ما ينعكس إيجاباً على اقتصاديات المجتمع المحلي (الزامل، ٢٠١٨).

٣- المنهج البحثي

اعتمدت الورقة البحثية على المنهج الوصفي والنظري، وذلك من خلال التحليل المتعمق للأدبيات والأطر النظرية في مجال تحسين المشهد الحضري وعلاقته بالتنمية السياحية. وكما هو موضح من الشكل رقم (١) ركزت المرحلة الأولى على تحليل عناصر المشهد الحضري للمناطق التاريخية والتي تشمل التكوين المورفولوجي، والتكوين البصري، والهيكل الاجتماعي والاقتصادي. عملت الورقة على مراجعة المفاهيم الخاصة بالسياحية المستدامة وتعاريفها المختلفة من قبل المنظمات العالمية واستخلاص الأبعاد النظرية التي تساهم في تنمية السياحة. وتوصلت نتائج التحليل إلى تحديد الأبعاد التي تشترك في صياغة العلاقة بين المشهد الحضري والتنمية السياحية وهي البعد العمراني، والثقافي، والاجتماعي، والاقتصادي. وفي المرحلة الأخيرة تم تطوير إطار مقترح لعناصر تحسين المشهد الحضري التي يمكن أن تؤثر على التنمية السياحية وفقاً للأبعاد العمرانية، والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

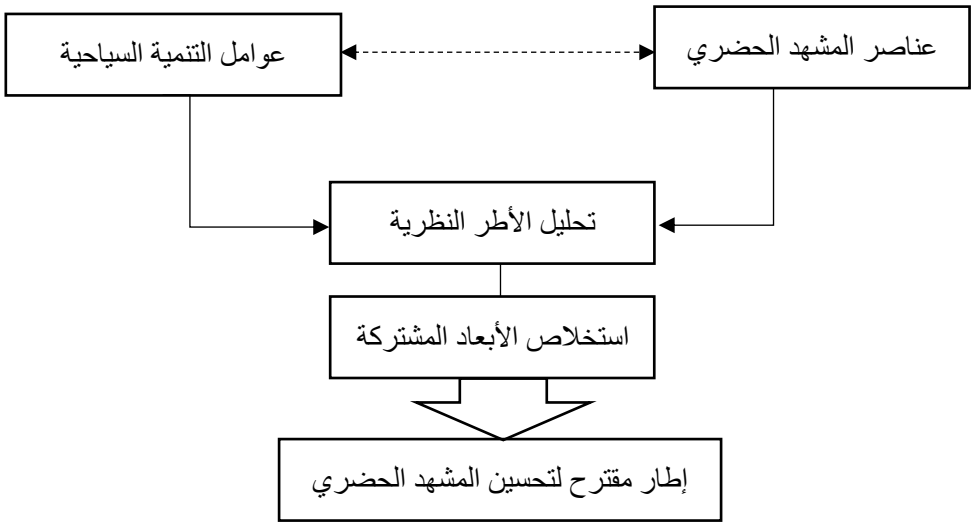

شكل رقم (١). المراحل المنهجية لإعداد الورقة البحثية

المصدر: الباحثون

٤- تحليل عناصر المشهد الحضري للمناطق التاريخية

كما هو مبين في الشكل رقم (٢)، تنقسم عناصر تكوين المشهد الحضري للمناطق التاريخية إلى ثلاثة عناصر رئيسة تتمثل في التكوين المورفولوجي، والتكوين البصري والهيكل الاجتماعي والاقتصادي.

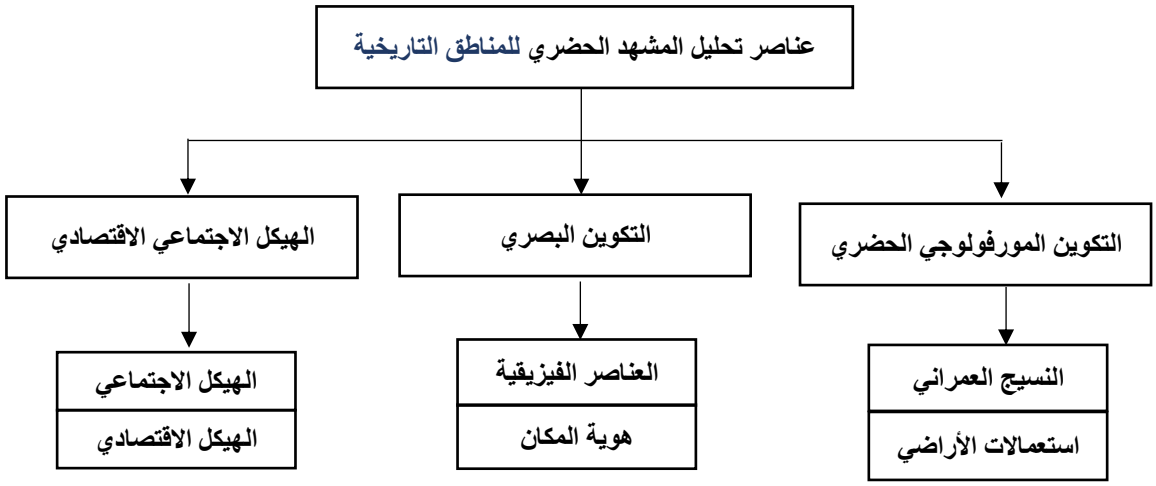

الشكل رقم (٢) عناصر المشهد الحضري

المصدر: (Mohamed, Harun and Abdullah, 2018).

٤-١ التكوين المورفولوجي الحضري

أشار Conzen (1981)، إلى أن المورفولوجية الحضرية (Urban Morphology)، تشمل دراسة للهيكل العمراني، متمثلا في النسيج العمراني، واستعمالات الأراضي. أولاً، تشمل عناصر النسيج العمراني نمط تخطيط الشوارع، الذي يؤثر بدوره على النفاذية البصرية، حيث يعد النمط الشبكي أكثر نفاذية لاستقامة الشوارع ووضوح النهايات. وفي المقابل، يعد النمط العضوي أقل نفاذية لكثرة الانعطافات وعدم وضوح النهايات. كما يؤثر نمط تخطيط شبكة الشوارع على تحديد مدى الوصولية، حيث إن الشبكة المتصلة تكون ذات وصولية أعلى، بينما شبكة الشوارع غير المتصلة تعرقل استمرارية التنقل بين الأماكن وبالتالي ضعف الوصولية بينها (خليل، ٢٠١٦). يشتمل النسيج العمراني على نمط البلوكات الذي يعتبر أيضاً مؤشراً لدرجة المرونة والنفاذية في البيئة العمرانية، حيث يمكن لحجم البلوكات أن يحدد مدى سهولة الوصول بين نقطة وأخرى، وتعد البلوكات الصغيرة أكثر نفاذية (حسن، ٢٠١٤). إن نمط الفراغات العمرانية يؤثر في تركيبة النسيج العمراني، باعتبار أن الفراغ يتشكل من الفضاءات بين المباني، أو يكون على شكل مسارات كالشوارع وممرات المشاة، أو على شكل ساحات مفتوحة كالميادين. تختلف أنماط الفراغات بحسب نسبة درجة الخصوصية التي توفرها (شذى، ٢٠١٨). وتؤثر أنماط الفراغات المختلفة على مدى نفاذية البيئة، وتلعب دوراً واضحاً في تشكيل النسيج العمراني. ويوضح الشكل رقم (٣) أثر تشكيل المباني والكتل العمرانية داخل البلوك التخطيطي على درجة النفاذية.

عالي النفاذية **متوسط النفاذية** **انعدام النفاذية**

الشكل رقم (٣) أثر نمط البلوكات على نفاذية البيئة العمرانية.

المصدر: (Vanderhaegen & Canters, 2017).

ثانياً، تعد استعمالات الأراضي أحد عناصر المورفولوجية العمرانية والتي يتم تحديدها كماً ونوعاً وفق احتياجات السكان، وتخضع لمتغيرات العرض والطلب. وتتسم استعمالات الأراضي بالطبيعة المتغيرة باعتبار الوظيفة سلوك يعتمد على الإنسان وهو ما يؤثر في نهاية المطاف على الشكل المادي للمدينة ويفقدها كثيراً من ملامحها وشخصيتها، ولا يبقى منها سوى الشكل العام (Conzen, 1981). ويلخص الجدول رقم (١) عناصر التحليل المورفولوجي الحضري، وأثرها على المشهد الحضري للمناطق التاريخية.

الجدول رقم (١). أثر عناصر التحليل المورفولوجي الحضري على المشهد الحضري للمناطق التاريخية.

التكوين المورفولوجي	أثرها على المشهد الحضري للمناطق التاريخية
النسيج العمراني	يحافظ نمط تخطيط النسيج العمراني على هوية المشهد الحضري للمدينة باعتبارها عناصر أقل تأثراً بعامل الزمن.
استعمالات الأراضي	يستجيب نمط استعمالات الأراضي بشكل أكبر للتغييرات وبالتالي يعد أثره سلبياً على المشهد الحضري التاريخي للمدينة.

المصدر: (Conzen, 1981).

٤-٢ التكوين البصري

يشتمل التكوين البصري على تحليل هوية المكان ويسعى للكشف عن الكيفية التي يرى بها السكان المشهد الحضري للمدينة، ومدى وضوح هويته للمستخدمين، وأدراكهم له وتفاعلهم معه. لذلك، يساعد التكوين البصري على تحديد الصفات التي يتميز بها المكان والطابع الخاص به (Moughtin, Cuesta, Sarris, & Signoretta, 2003). إن دراسة التكوين البصري تتضمن تحليل البيئة العمرانية، والعناصر الطبيعية.

أولاً، يعتمد تحليل البيئة العمرانية على فهم التصور العام لوظيفة المباني والتي تعطي الانطباع عام عن هوية المكان. وتتميز المناطق التاريخية بمباني ذات خصائص معمارية فريدة نظراً لأهميتها التاريخية أو طبيعة الشكل المعماري. لكن مع مرور الوقت قد تتغير وظيفة المبنى، أو بالإمكان أن تتعدد وظائف المبنى الواحد، وغالباً ما يكون لهذا التغيير أثراً على تغير المظهر العام للمشهد الحضري (عبد اللطيف، ٢٠١٠). وتتعدد أنواع المباني ضمن المناطق التاريخية، وتتخذ أهميتها لكونها شهدت أحداثاً تاريخية مثل قصر المصمك في الرياض، وأحيانا أخرى تكون سائدة في الاستخدام، وتتمثل في المساكن وبعض الخدمات، ولكن يميزها وجود بعض العناصر المعمارية التي تعطي تصور عام عن تاريخ الحقبة الزمنية. ونظراً للتقادم الزمني أو الإهمال تعاني المباني التاريخية من تداعي قد يتسبب بانهيارها أو ضياع المعالم التاريخية. لذلك، تحتاج هذه المباني إلى أساليب خاصة للتعامل معها (الزامل، الشراكة المجتمعية المحلية كمدخل لتفعيل الاستثمار في مواقع التراث العمراني في المملكة العربية السعودية، ٢٠٢١). إن عدم تكامل العناصر المعمارية لواجهات المباني يؤثر سلباً على المظهر العام للمشهد الحضري، ومن ذلك عدم تناسق الألوان ومواد البناء الخارجية، الذي يتسبب في تنافر الوحدة البصرية للمكان. كما أن التفاوت الشديد في ارتفاعات المباني في المناطق التاريخية يتسبب في اختلال خط السماء، ويؤدي إلى سوء التنظيم البصري.

إن تحليل البيئة العمرانية يتضمن أيضاً الدراسات البصرية للعناصر المادية، ومدى وضوحها للمستخدمين والتي بدورها تكون الصورة الذهنية لديهم، ومدى مقروئية الهيكل العمراني. لقد أشار Lynch (1960) في أطروحاته لعمل الخرائط الذهنية أنه يمكن للناس تكوين صورة دقيقة للبيئة المقروءة، وبواسطة هذه الصورة الإدراكية الواضحة للمدينة يمكن للمستخدم التعامل معها بشكل أكثر فعالية. وتتكون الصورة الذهنية وفقاً لذلك من خمس معالم محسوسة، يتم من خلالها تشكيل صورة المنطقة لدى المستخدم. ويوضح الجدول رقم (٢) تفاصيل عناصر "كيفن لنش" لتحليل صورة المنطقة.

الجدول رقم (٢). عناصر الصورة الذهنية

العنصر	التعريف	التعبير بالأشكال	عوامل الوضوح
المسارات	أهم عنصر في بناء الصورة الذهنية وتعد قنوات الحركة الرئيسية للناس، التي تجتمع حولها عناصر البيئة العمرانية وتتنوع بين ممرات للمشاة ومسارات للسيارات أو غيرها.		وضوح البدايات والنهايات لمسارات الحركة.
العقد	بؤر للنشاط مثل نقطة تقاطع للمسارات، أو أماكن اجتماعات، كساحات الأسواق والميادين.		وجود ساحات أو أماكن تجمعات للنشاطات ويتفق جميع السكان عليها.
الأحياء	عبارة عن مناطق ذات استخدام واضح ويمكن تمييزها بصرياً عند التنقل من منطقة لأخرى.		وضوح حدود الأحياء وانسجام العناصر المعمارية ووضوح الطابع المعماري.
الحدود	الحد الفاصل بين منطقتين بينهما تباين واضح، وقد يكون الخط عبارة عن صف مبانٍ يشكل الخط الخارجي لمنطقة ما، أو طريق يفصل بين منطقتين.		وضوح الحدود بحيث تحدد نهاية جزء وبداية جزء آخر مثل (حد التقاء اليابس مع الماء، ونهاية النطاق العمراني).
المسارات	العلامات المميزة في المدينة مثل المباني ذات الطراز المعماري المميز، والأبراج، أو جامع ضمن مجموعة مباني سكنية.		يتفق على تمييزها أكبر عدد ممكن من الناس ويمكن التعرف عليها من مختلف الأماكن.

المصدر: (خليل، ٢٠١٦)، (Lynch, 1960)، (Moughtin, Cuesta, Sarris, & Signoretta, 2003).

ثانياً، تشتمل عناصر الطبيعة أنواع التنسيق الطبيعي للأرض والتي تتمثل بالأشجار، والأزهار، والمياه، والصخور وهي في المجمل تعطي تأثيراً على إحساس الناس بالمكان وإدراكهم له. وفي المناطق التاريخية يلعب التنسيق الطبيعي دوراً في تشكيل المشهد الحضري ويتمثل غالباً بالتكوينات الطبيعية القريبة من المعالم التاريخية أو عناصر التجميل كالأشجار التي تشكل حاجزاً بين السيارات والمشاة أو المعالم الطبيعية التي تضيف جمالية للمنطقة التاريخية (Parolek, Porolek, & crawford, 2008). ويلخص الجدول رقم (٣) عناصر التكوين البصري وأثرها على المشهد الحضري.

الجدول رقم (٣). عناصر التكوين البصري وأثرها على المشهد الحضري.

التكوين البصري	أثرها على المشهد الحضري للمناطق التاريخية
البيئة العمرانية	▪ تعزز فهم أعمق للهوية والطابع الخاص بالمشهد الحضري لصياغة خطط تحسينية تعزز من هوية المكان. ▪ تساعد المباني المعمارية المميزة كالحصون والقلاع على تقوية المشهد الحضري. ▪ تساهم البيئة المعمارية في وضوح الصورة الذهنية للمشهد الحضري بالنسبة للمستخدمين. ▪ تكوين فهم أعمق لمدى إدراك المستخدمين للمشهد الحضري للمدينة وارتباطهم بها. ▪ تحقيق تفاعل بين المكان والمستخدمين، يسهم في فهم هوية المشهد الحضري للمكان.
البيئة الطبيعية	▪ تساهم في جمال المشهد الحضري وخلق بيئة جميلة للمستخدمين. ▪ تزيد من حيوية المكان.

المصدر: (خليل، ٢٠١٦)، (Lynch, 1960)، (Moughtin, Cuesta, Sarris, & Signoretta, 2003).

٤-٣ البعد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي

تعد دراسة البعد الاجتماعي والاقتصادي للسكان من الجوانب المهمة لفهم التغييرات التي طرأت على المشهد الحضري حيث أن تغير خصائص السكان الديموغرافية يؤثر بدوره على أنماط الأبنية، وتغير استعمالات الأراضي. كما يؤثر تطور حجم السكان وأصولهم الاجتماعية، من حيث كونهم السكان الأصليين للمنطقة أو تم انتقالهم حديثاً في طبيعة التكوين المادي للبيئة العمرانية. يتبع هذا التغيير الاجتماعي عدة مؤثرات على البيئة العمرانية وتتمثل في السلوكيات الاجتماعية وثقافة السكان ضمن البيئة العمرانية. كما يؤثر البعد الاقتصادي للسكان على البيئة العمرانية من حيث مدى صيانة المباني وطبيعة ونوع استعمالات الأراضي. وكما هو موضح من الجدول رقم (٤) فإن تحليل الهيكل الاجتماعي الاقتصادي يساهم في فهم أعمق للتكوين العمراني والعوامل التي ساهمت في تشكيل المشهد الحضري.

الجدول رقم (٤). عناصر الهيكل الاجتماعي والاقتصادي وأثرها على المشهد الحضري.

عناصر الهيكل الاجتماعي والاقتصادي	**أثرها على المشهد الحضري للمناطق التاريخية**
التغيرات الاجتماعية والثقافية	▪ استيطان جنسيات مختلفة في المنطقة يؤدي لظهور ممارسات لا تعكس ثقافة السكان الأصليين، وتؤثر سلباً على المشهد الحضري. ▪ ظهور أنماط جديدة تساهم في تغيير المشهد الحضري مثل (تغيير نمط الواجهات – استحداث طابع معماري جديد لا يتناسب مع المنطقة – بناء وحدات سكنية جديدة تتسبب في اكتظاظ المنطقة). ▪ التغيرات الاجتماعية يصاحبها هجرة الثقافات الأصيلة في المنطقة التاريخية
التغيرات الاقتصادية	▪ يساهم التطور الاقتصادي في حيوية المنطقة واستقطاب عدد كبير من الزوار مما يجعلها من أولويات التحسين في المدينة. ▪ يؤدي النزول الاقتصادي في المنطقة وانتشار المحلات التجارية التي لا تراعي المظهر الخارجي إلى تشوهات في المشهد الحضري للمنطقة. ▪ الفقر الحضري يساهم في انتشار الامتدادات العشوائية على المناطق التاريخية.

المصدر (اليزيدي و الزامل، ٢٠٢١).

وبناء على ما تقدم يمكن استنتاج العناصر التي يتكون منها المشهد الحضري للمناطق التاريخية وفقاً للمكونات المورفولوجية والبصرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وكما هو موضح من الشكل رقم (٤) يساعد استيعاب هذه المكونات على صياغة شمولية للمشهد الحضري في المناطق التاريخية لا تقتصر على البعد العمراني؛ بل تعكس البنية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ضمن الإطار المادي للمناطق التاريخية.

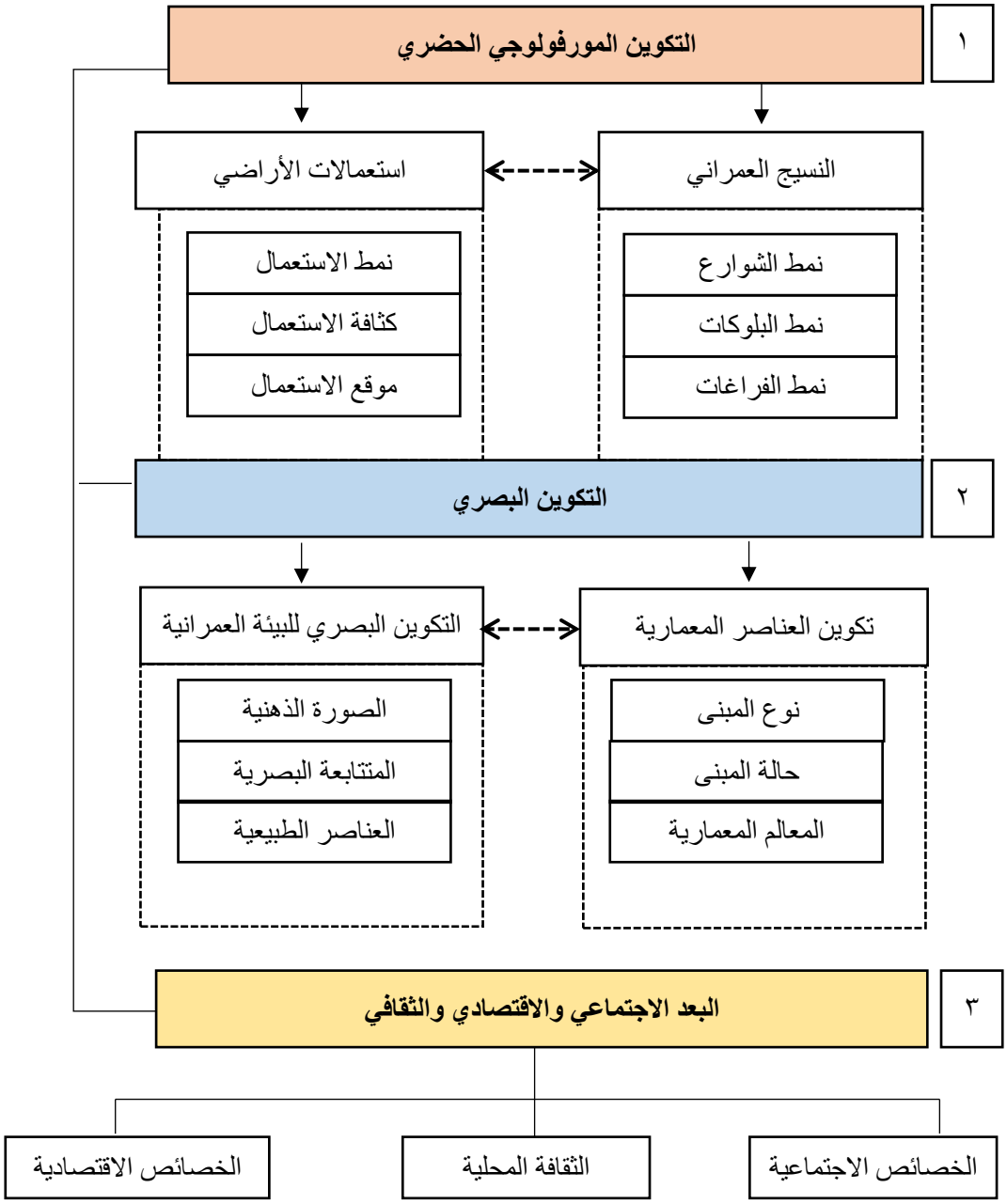

الشكل رقم (٤). الشكل العام لعناصر تحليل المشهد الحضري للمناطق التاريخية

المصدر: الباحثون استناداً إلى (خليل، ٢٠١٦)، (Lynch, 1960)، (Moughtin, Cuesta, Sarris, & Signoretta, 2003)، (Conzen, 1981).

٤-٤ أبعاد المشهد الحضري للمناطق التاريخية

استناداً إلى تحليل عناصر المشهد الحضري يمكن استنتاج أهم الأبعاد التي تساهم في تحقيق التنمية السياحية للمناطق التاريخية، وفيما يلي شرح لكل منها:

- **البعد العمراني:** يهتم المشهد الحضري بجودة البيئة العمرانية والانطباع الذي يتركه المكان في ذهن المستخدمين، وتسعى عمليات تطويره إلى المحافظة على العناصر المعمارية والعمرانية، والتي ستساهم في خلق بيئة ذات جودة عالية للسكان والسياح.

- **البعد الثقافي:** المشهد الحضري نتاج لعدد من التطورات التاريخية التي مرت على المدينة، لذلك تعد الأماكن التاريخية والتراثية والسياحية من أهم مكوناته، بالإضافة للأنشطة الثقافية والتي تساهم في تكوين هوية خاصة للمكان، وتعزيز البعد الثقافي والجاذبية للزوار للمدينة.
- **البعد الاجتماعي:** يستجيب المشهد الحضري للتغييرات في البيئة الاجتماعية والتي تنعكس على البيئة العمرانية، نتيجة لعمليات التكييف والحلول الاجتماعية لخصوصية العائلة والمعالجات الاجتماعية. إن تطوير المشهد الحضري يدعم البيئة العمرانية في إطار يحفظ لها الطابع الخاص للمكان ويحقق المنافع للمجتمع المحلي والجذب السياحي.
- **البعد الاقتصادي:** تطوير المشهد الحضري يسعى إلى رفع مستوى البيئة العمرانية للمدينة ومستخدميها، وخلق بيئة عمرانية ذات جودة بصرية عالية، ونتيجة لذلك يمكن تحقيق منافع عدة وفرص سياحية واستثمارية تدعم اقتصاديات المجتمع المحلي وتنعكس إيجابياً على المدينة.

٥- العلاقة بين عناصر المشهد الحضري وأبعاده

هناك علاقة بين عناصر المشهد الحضري وأبعاده، والتي تعتبر المرجع الأساس في صياغة الأطر النظرية المستهدفة في هذه الورقة البحثية. لقد ارتبطت عناصر التحليل المورفولوجي المتمثلة في النسيج العمراني واستعمالات الأراضي بشكل رئيس بالبعد العمراني، نظراً لأنها تحتوي على عناصر البيئة العمرانية كنمط تخطيط الشوارع، والبلوكات، والفراغات ونمط استعمالات الأراضي وكثافته، وتؤثر مجتمعة على تشكيل البيئة العمرانية. كما يرتبط البعد الثقافي والاجتماعي بنمط تشكيل الفراغات، لأنها تمثل درجة الخصوصية التي يحتاجها السكان، وفق ثقافاتهم ووضعهم الاجتماعي. ويرتبط البعد الاقتصادي بتغير نوعية استعمالات الأراضي، حيث يؤدي ارتفاع الاقتصاد إلى استقطاب استثمارات عديدة، فتتحول المناطق السكنية إلى تجارية أو سياحية أو غيرها من الاستخدامات الأخرى. يوضح الشكل رقم (٥) عناصر التحليل المورفولوجي والأبعاد المرتبطة بها.

أما التحليل البصري فقد عني بدراسة هوية المكان، التي تتكون من مجمل العناصر المعمارية والعمرانية، لذلك فهي ترتبط بشكل رئيس في البعد العمراني، وتعبر عن مدى جودته وماهي القضايا التي يعاني منها. ويرتبط البعد الثقافي والاجتماعي بشكل خاص في العناصر المعمارية، لما لخلفية السكان وثقافتهم من تأثير على المظهر الخارجي للمباني، التي تنعكس فيها ممارسات المجتمع المحلي كتفضيل نوع معين من مواد البناء أو اختيار نمط معين للعمارة. أيضا يؤثر البعد الاقتصادي بجودة المباني والحالة الإنشائية لها، بالإضافة إلى نوع المباني السائدة (نصر، ٢٠١١). يوضح الشكل رقم (٦) عناصر التحليل البصري والأبعاد المرتبطة بها.

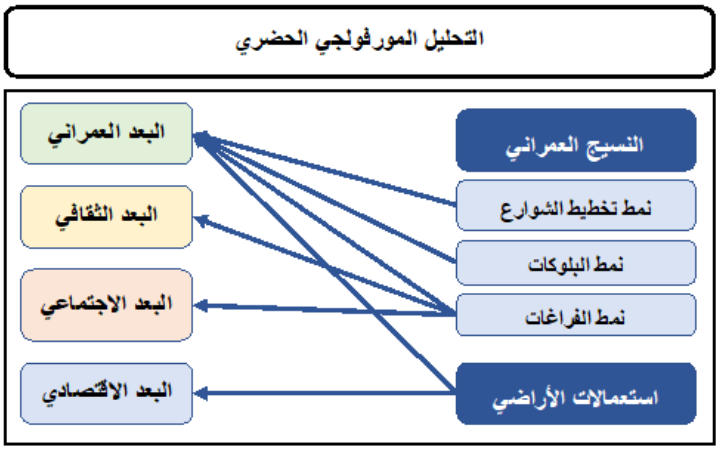

الشكل رقم (٥). عناصر التحليل المورفولوجي والأبعاد المرتبطة بها

المصدر: الباحثون استنادا إلى (Conzen, 1981).

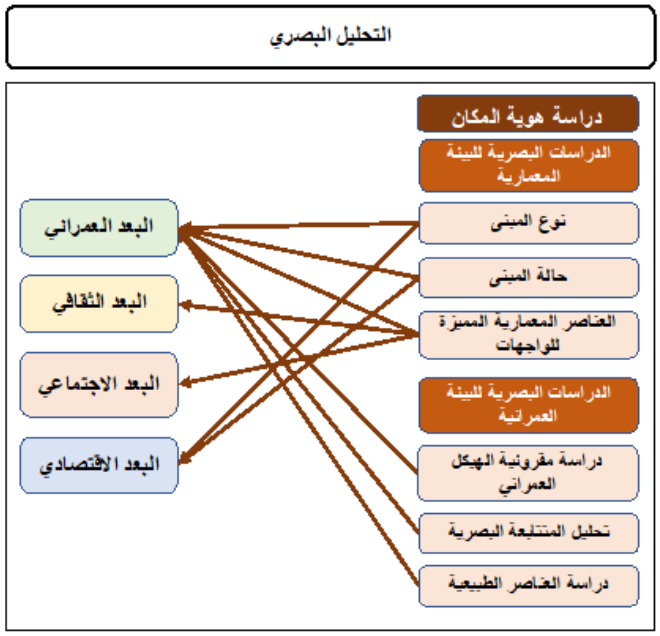

شكل رقم (٦). عناصر التحليل البصري والعناصر المرتبطة به

الباحثون استنادا إلى (خليل، ٢٠١٦)، (Lynch, 1960)، (Moughtin, Cuesta, Sarris, & Signoretta, 2003).

وأخيراً فإن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لها أثر واضح على البعد العمراني، حيث تتأثر أنماط العمران بالقيم الثقافية والاجتماعية واقتصاديات السكان. ويلخص الشكل رقم (٧) عناصر التحليل الاجتماعي والاقتصادي والأبعاد المرتبطة بها.

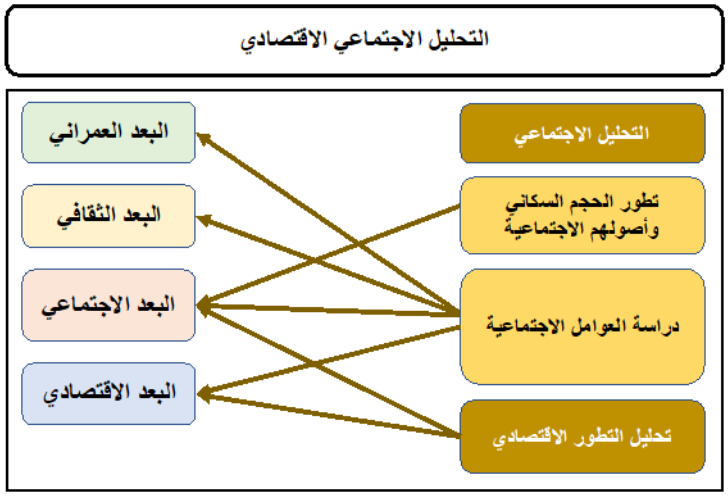

الشكل رقم (٧). عناصر التحليل الاجتماعي الاقتصادي والأبعاد المرتبطة بها

المصدر: الباحثون استنادا إلى (خليل، ٢٠١٦)، (اليزيدي و الزامل، ٢٠٢١).

٦- معايير جودة المشهد الحضري

يعد المشهد الحضري منتجاً متبادلاً من عناصره المتميزة المرئية والتي تعكس الأنماط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع، وتتفاعل مع العمليات النفسية الإدراكية والعاطفية للمراقب. وتُعرف الطريقة التي يتم من خلالها تفسير هذا الأثر على البشر والذي يتم تحويله إلى سلوك وتقييمه على أنه الجودة البصرية للمشهد الحضري والتي تشكلت نتيجة لعملية الإدراك البصري (Polat, 2015). كما أنها تعرف بـــالكمال الجمالي أو الإتقان الجمالي للمشهد والتي تتشكل نتيجة لإدراك الناس وإصدار الأحكام من قبلهم (حسين، ٢٠١٧)، وتعتمد على أربع معايير رئيسية تتحقق من خلالها الجودة البصرية للمشهد الحضري:

[١] الوضوح والتصور (Legibility and imageability).
[٢] سهولة الوصول (Accessibility).
[٣] التكامل البصري (Visual Integration).
[٤] إدراك هوية المكان (Place Identity).

٦-١ الوضوح والتصور

يشير مصطلح الوضوح (Legibility) إلى الطابع المميز الذي يساهم في سهولة الإدراك والقدرة على الفهم (Polat, 2015)، أما التصور (Imageability) فيشير Lynch (1960) إلى أنه جودة العناصر المادية التي يدركها المتلقي وتعطيه الصورة الكاملة للمناطق التاريخية. فتحقق جودة المشهد الحضري، ومن ثم الحفاظ على الهوية والملامح المميزة، والتي تتحقق من خلال الآتي:

- وضوح انسجام عناصر البيئة العمرانية والمكونة للصورة الذهنية لتأكيدها وضوحها.
- وضوح البدايات والنهايات لمسارات الحركة.
- تجانس الطابع المعماري من خلال تنسيق تفاصيل الواجهات وانسجام مواد البناء.
- بروز العلامات المميزة في المدينة وسهولة تمييزها.

٦-٢ سهولة الوصول

إن سهولة التنقل في البيئة العمرانية والوصول إلى جميع أجزائها أمر يساهم في تشكيل صورة ذهنية قوية عن المكان، ومن ثم فهمه والتفاعل معه. وكما أشار حسين (٢٠١٧) وخليل (٢٠١٦) تتحقق الوصولية من خلال الآتي:

- تحسين طرق المشاة بحيث تتسع لعدد أكبر من المشاة لتسهيل الحركة فيها، وإضافة العناصر التكميلية الأخرى كالأشجار وأثاث الشارع.
- إنشاء شبكة من الشوارع والممرات متصلة ببعضها واختيار شبكة الشوارع المناسبة والتي توفر تقسيماً واضحاً وسهلاً لنمط البلوكات.
- ربط المنطقة بشبكة النقل العام وإزالة أي حواجز مادية تعزل المنطقة وتضعف الوصول إليها.

٦-٣ إدراك هوية المكان

تعد الهوية مكوناً أساسياً للمناطق التاريخية لكونها تعبر عن ثقافة المجتمع وعاداته السائدة، وهي المسؤولة عن توليد الشعور بالانتماء والارتباط بها. ترتبط هوية المكان ارتباطاً وثيقًا بوجود إحساس حقيقي به، والذي يتأثر بتكوين وخصائص المكونات المادية للبيئة المبنية التي يراها ويفسرها الناس (Kaymaz, 2013) . لذلك، تساهم البيئات العمرانية في إدراك هوية المكان، ويمكن تمييز الهوية في المناطق التاريخية عن طريق الطابع العمراني والطرز المعمارية المستخدمة، إضافة نوعية الأنشطة والخدمات. إن تحسين المشهد الحضري في المناطق التاريخية يمكن أن يحقق الهوية المميزة للمكان من خلال أسلوب الجمع بين العمارة الحديثة والتاريخية، مع الأخذ بالاعتبار الطابع المميز للعناصر المعمارية، والجمع بين التصميم المبتكر والتراث العمراني. بالإمكان الوصول الى ذلك من خلال التوافق في العناصر المعمارية ومواد البناء، مع محاكاة طابع البناء المحلي بشكل يحافظ على تاريخ وثقافة المكان (Kaymaz, 2013) .

إن النشاطات المختلفة التي يتم تبنيها في المناطق التاريخية يمكن أن تساهم في إعطاء صبغة ثقافية للمكان اعتمادا على نوع النشاط المقام به. بالتالي يكتسب المكان هوية خاصة به تعتمد على نوع النشاط والخدمة التي يتلقاها المستخدم في نفس المكان (Kaymaz, 2013). وهكذا فالبيئة العمرانية هي انعكاس لهوية المناطق التاريخية ومستخدميها، وتعد تلك البيئة في حالة تطور مستمر عبر الزمن. لذلك فإن الحفاظ على الهوية يعكس مشهد الحضري مميز، ويعبر عن أصالة وعراقة المناطق التاريخية (Branhult, 2013) .

إن هوية المكان والوصولية وعناصر التكوين البصري للمعالم التاريخية والتكامل البصري تعد عوامل هامة في التنمية السياحية فإذا فقد المكان جاذبيته للسائحين فإن الخدمات والتسهيلات السياحية القائمة به تفقد الطلب عليها (البسام، ٢٠٠٥). لذلك تحرص العديد من الدول في العالم على تحسين المشهد الحضري في المناطق التاريخية لتعزيز التنمية السياحية المستدامة. إن المشهد الحضري يؤثر على التنمية السياحية المستدامة ويتأثر بها، وقد يكون هذا التأثير سلباً أو إيجاباً على السياحة. قد تعاني بعض المناطق من تشوه المشهد الحضري، مما يقف عائق في

جعلها وجهة جاذبة للزوار. كذلك تستلزم تنمية السياحة في بعض المناطق إلى إنشاء مبانٍ جديدة وطرق ومساحات ترفيهية مختلفة باستخدام مواد بناء قد تتعارض مع مواد البناء المتواجدة، مما قد ينعكس سلباً على بعض المناطق التي لها طابع خاص، وينتج عنه تشوه في المشهد الحضري (شكري، ٢٠٠٩).

٦-٤ التكامل البصري

التكامل البصري هو تنظيم مكونات البيئة العمرانية في المناطق التاريخية التي تبلور الصورة الحضرية والحسية للعلاقات بين الخصائص البصرية، فتحافظ تلك المناطق على هويتها وشخصيتها الحضرية المميزة. يمكن تحقيق هذا التكامل من خلال ضمان استمرارية علاقة مكونات البيئة العمرانية ومستخدميها، والربط ما بين العناصر المادية واللامادية للوصول إلى مزيج وظيفي وفيزيائي يحققه للبيئة العمرانية (Al-Askary & Al-Kaissi, 2016). أشار Cullen (1961) إلى أن هناك مستويان لتحقيق التكامل البصري للمشهد الحضري، أحدهما على مستوى الكل بتحقيق التكامل البصري على مستوى التشكيل العام للمناطق التاريخية، والآخر على مستوى الجزء بتحقيق التكامل البصري للعناصر المعمارية، ويلخص الجدول رقم (٥) الخصائص البصرية لتحقيق التكامل البصري على المستويين وأثرها على المشهد الحضري.

الجدول رقم (٥) مستويات تحقيق التكامل البصري في المشهد الحضري.

	الخصائص البصرية	تحقيق التكامل البصري
خصائص بصرية على مستوى الكل	العلاقات على مستوى الكل (التشكيل العام)	
	تكامل خط البناء وخط السماء	▪ تنظيم وتوحيد خط البناء لتحقيق الاستمرارية. ▪ تنظيم مسافات الارتداد للمباني. ▪ تنظيم ارتفاعات المباني
	تحقيق المشهد المتسلسل	▪ تحقيق المتتابعة البصرية التي تصنع مشهداً ذا إثارة وتشويق
	الاحتواء الفضائي	▪ تضام الأبنية وعدم ترك الفراغات البينية بين الكتل. ▪ العلاقات التناسبية بين ارتفاع المبنى وعرض الشارع. ▪ محاكاة خصائص الأبنية المجاورة.
	عرض وحدة البناء	▪ توحيد عرض الوحدات يسهم في تماسك الأبنية وانسجامها
خصائص بصرية على مستوى الجزء	التفاصيل المعمارية للأبنية	
	الطراز المعماري للأبنية	▪ توحيد النمط التصميمي للأبنية. ▪ محاكاة السمات المعمارية المحلية
	نوعية التفاصيل والمواد المستخدمة	▪ تناغم الألوان واستمراريتها. ▪ استخدام مواد البناء المحلية السائدة
	فتحات الواجهات	▪ تكرار الفتحات بنفس النسب والأبعاد. ▪ انتظام ارتفاعات الفتحات واستمراريتها
	حدود الكتل	▪ تنظيم حافات الكتل وخلق إحساس بالشكل الخارجي الموحد.

المصدر: الباحثون استناداً إلى (خليل، ٢٠١٦)، (حسين، ٢٠١٧)، (Al-Askary & Al-Kaissi, 2016).

٧- علاقة المشهد الحضري للمناطق التاريخية بالتنمية السياحية المستدامة

وفقاً لما تقدم فإن هناك علاقة تؤكد أن تحسين المشهد الحضري الذي يحتوي في مجمله المقومات الفيزيائية والطبيعية المستقطبة للسياح، يدعم التنمية السياحية المستدامة التي تهتم بالحفاظ على جميع مكوناته وفق إطار مستدام. ومع ذلك، فإنه إلى جانب دور المشهد الحضري في دعم التنمية السياحية المستدامة، فإن توفير وتقوية مقومات التنمية السياحية المستدامة يدعم المشهد الحضري. وكما هو موضح من الشكل رقم (٨) كلما زادت جودة المشهد الحضري زادت قابلية النجاح للتنمية السياحية المستدامة (McCool, S.F. and Bosak, K. eds., 2016, p202).

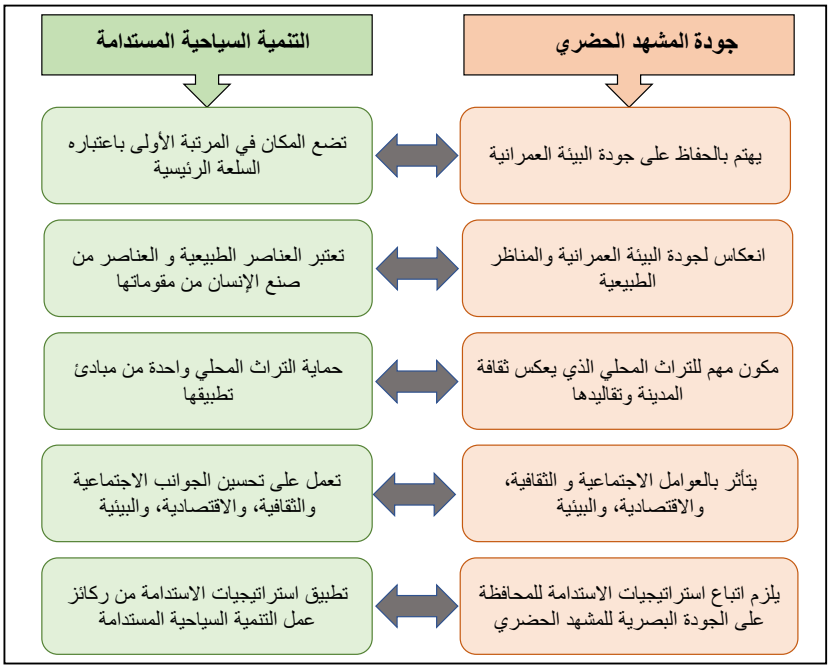

الشكل رقم (٨). العلاقة التبادلية بين المشهد الحضري والتنمية السياحية المستدامة
المصدر: الباحثون بالاستناد إلى (البسام، ٢٠٠٥).

وتأتي أهمية المناطق التاريخية من كونها مورد ثقافي يساهم في تنمية السياحة المحلية ودعم الاقتصاد الوطني في حال استغلالها بشكل أمثل. واستناداً الى تحليل الأطروحات النظرية حول علاقة المشهد الحضري للمناطق التاريخية بالتنمية السياحية يمكن استنتاج أربع أبعاد رئيسة يساهم تحسينها في تعزيز التنمية السياحية للمناطق التاريخية وهي البعد العمراني، والبعد الثقافي، والبعد الاجتماعي، والبعد الاقتصادي.

٧-١ البعد العمراني

إن تحسين المشهد الحضري يساهم في الحفاظ على العناصر المعمارية والعمرانية ذات البعد التاريخي ويعزز من خلق بيئة عمرانية ذات جودة عالية تخدم في المقام الأول سكان المدينة، وتحفز على استقطاب الزوار من خارجها. وفي الوقت ذاته، تسعى التنمية السياحية المستدامة بشكل رئيس لحماية المواقع التاريخية والتراثية، لما تحتويه من عناصر مادية وطبيعية ذات أهمية تاريخية للمدينة، وتؤكد على ضرورة توفير كل ما يلزم للزوار دون أي تأثير سلبي على السكان المحليين، مع المحافظة على الموارد المتاحة (الرميدي، ٢٠١٨).

٧-٢ البعد الثقافي

يعد المشهد الحضري نتاج لعدد من التطورات التاريخية التي مرت على المدينة، كما تساهم المواقع التاريخية والتراثية في تكوين هوية خاصة للمكان، وتعزز البعد الثقافي له، مما يجعله وجهة يقصدها السياح للتعرف على مختلف الثقافات (عبد اللطيف، ٢٠١٠). وفي نفس الإطار، تهتم السياحة المستدامة بتعزيز ثقافة المدينة باعتبارها إحدى أدوات عملها، وأحد الجوانب التي تستقطب الزوار لاستكشاف الثقافات المختلفة. كما أنها تسعى إلى رفع مستوى المجتمع، ووعيهم وتعليمهم وتقديرهم لثقافتهم، من خلال ترسيخ القيم المحلية والتراث الثقافي حيث تركز

السياحة على إبراز الهوية المحلية، وتوظيفها لتعكس العمق الثقافي والترويج للمناطق السياحية (عبد اللطيف، ٢٠١٠).

٧-٣ البعد الاجتماعي

يستجيب المشهد الحضري للتغييرات في التركيبة الاجتماعية والتي تنعكس على العناصر المادية، نتيجة لعمليات التكييف والحلول الاجتماعية المختلفة. لذلك فإن المجتمع يلعب دور كبير في المحافظة على البيئة العمرانية، وإنتاج مناطق تاريخية ذات جودة بصرية عالية، وتحقق قيمة اجتماعية مضافة، وهو ما يجعل منها بيئة خصبة لاستقطاب الزوار وتنمية منتجها السياحي (Conzen, 1981). وفي المقابل، فإن التنمية السياحية المستدامة تسعى لتحقيق المنافع للمجتمع المحلي من خلال دعم تمكين المجتمع من المشاركة في عملية التنمية، وإعطاءهم حق اتخاذ القرارات. بالإضافة لتوفير العديد من الفرص الوظيفية والاستثمارية التي ترفع من مستوى دخل الفرد، وتعود بالمنافع على جميع فئات المجتمع. أن تحقيق مستهدفات التنمية السياحية يمكن أن تساهم في تقليل الفوارق بين السكان، كما أنها تعطي الفرصة للمجتمعات لتحسين ذاتها وزيادة مكتسباتها بما يلائم تركيبتها الاجتماعية والثقافية (الرميدي، ٢٠١٨).

٧-٤ البعد الاقتصادي

يسعى تحسين المشهد الحضري للوصول إلى بيئة عمرانية ذات جودة بصرية عالية تعكس قيمة المكونات العمرانية والمظاهر الاجتماعية والثقافية، لتحقيق العوائد الاقتصادية وخلق فرص سياحية واستثمارية. إن الحفاظ على الموارد الطبيعية والثقافية من أهم مقاصد ومستهدفات التنمية السياحية المستدامة، ويسعى قطاع السياحة على حشد كافة الوسائل الممكنة في حماية الموارد التاريخية والثقافية واستثمارها لتحقيق العوائد الاقتصادية للمجتمع المحلي. كما تندرج التنمية السياحية المستدامة ضمن أهداف تحقيق التنمية الاقتصادية للمدن، لما تمتلكه من إمكانيات في زيادة ميزان المدفوعات، وخلق فرص استثمارية متنوعة، بما يعود بالمنفعة على نمط الحياة الاجتماعية والثقافية لأفراد المجتمع، ورفع كفاءته الإنتاجية. ويسعى القطاع السياح إلى رفع كفاءة المشاريع التنموية بما فيها صيانة وترميم المناطق التاريخية والتراثية، وتشغيلها وخلق فرص عمل للنساء والشباب (زين، ٢٠١٦).

ويلخص الشكل رقم (٩) العلاقة بين المشهد الحضري والتنمية السياحية المستدامة وفقاً للأبعاد الأربعة.

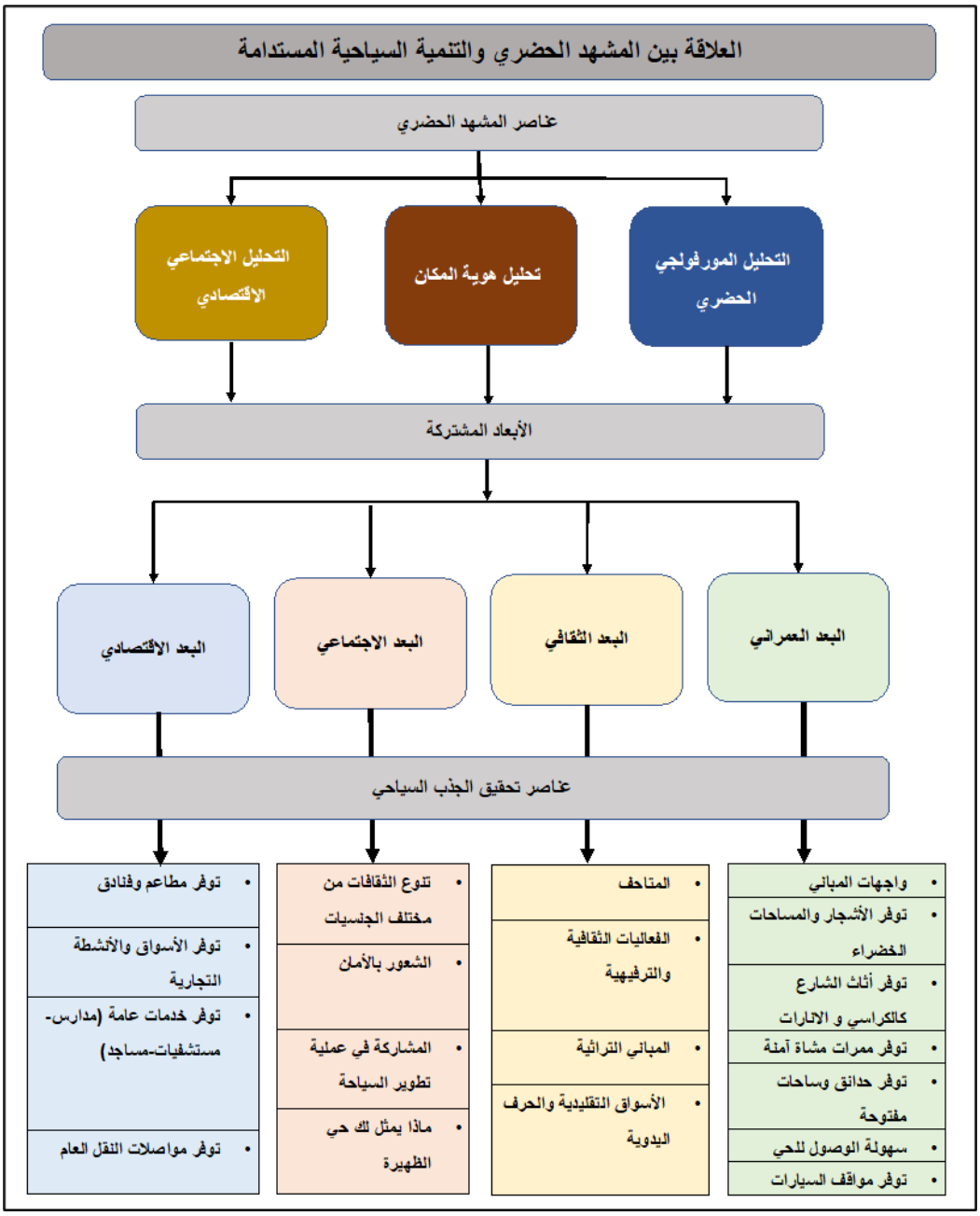

شكل رقم (٩). العلاقة التبادلية بين المشهد الحضري والتنمية السياحية المستدامة

المصدر: الباحثون بالاستناد إلى (البسام، ٢٠٠٥).

٨ـ صياغة إطار نظري لتحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية كمدخل للتنمية السياحة المستدامة

لقد أثبتت الدراسة النظرية التحليلية للمشهد الحضري للمناطق القديمة وأبعادها، وكذلك التنمية السياحية المستدامة، أن هناك علاقة تؤكد دور تحسين المشهد الحضري في تحقيق التنمية السياحية المستدامة، من خلال التطابق في الأبعاد الأربعة لهم، وهي الأبعاد العمرانية، والثقافية، والاجتماعية والاقتصادية. كما لوحظ أن هذه العلاقة تبادلية حيث إن تحسين المشهد الحضري له دور إيجابي في تحقيق الجذب السياحي للمناطق القديمة كنتيجة مباشرة لتحسين وتطوير مقومات التنمية السياحية المستدامة، وكذلك فإن تأكيد فاعلية مقومات التنمية السياحية المستدامة ينعكس بشكل إيجابي على جودة المشهد الحضري للمناطق القديمة.

وبناء على ما تقدم، أمكن وضع تصور لإطار نظري يلخص الإطار المقترح لتحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية كمدخل للتنمية السياحية المستدامة، حيث أن جودة المشهد الحضري تتحقق من خلال تحسين البيئة العمرانية بكافة مكوناتها، والتي تشمل الوصولية الجيدة لكافة عناصر البيئة العمرانية، مع الحفاظ على المكونات

العمرانية، وتأكيد صورة ذهنية قوية ترسخ في الأذهان، مع تأكيد الطابع العمراني وتحقيق التجانس بين التراث والحداثة، والتي تؤدي بدورها من خلال التخطيط الجيد والنظم التشريعية والتمويلية والإدارية والتشغيلية لدعم المقومات العمرانية بالمناطق التاريخية، وعناصر الجذب السياحي، وتكامل البيئة السياحية، وكذلك النقل والمواصلات.

وإضافة إلى ما سبق، فإن تحسين البيئة العمرانية بكافة مكوناتها ومن ثم جودة المشهد الحضري، يتحقق أيضا من خلال الحفاظ على البيئة الطبيعية، والهوية الثقافية، ودعم تفاعل المجتمع، والاستثمار والعوائد الاقتصادية، ويتأكد هذا التحسين من خلال منظومة تشريعية تمويلية إدارية وتشغيلية جيدة، لدعم المقومات البيئية والمقومات الثقافية وأخيرا المقومات الاجتماعية. لذلك فإن إيجابية وفاعلية تلك العلاقة تظهر بوضوح من خلال منظومة تشاركية المجتمع، القطاع الخاص، الحكومة للحفاظ ودعم المشهد الحضري أثناء مراحل تحسينه وبعد الانتهاء منه، وكذلك دعم مقومات التنمية السياحية المستدامة ويوضح الشكل رقم (١٠) الإطار المقترح.

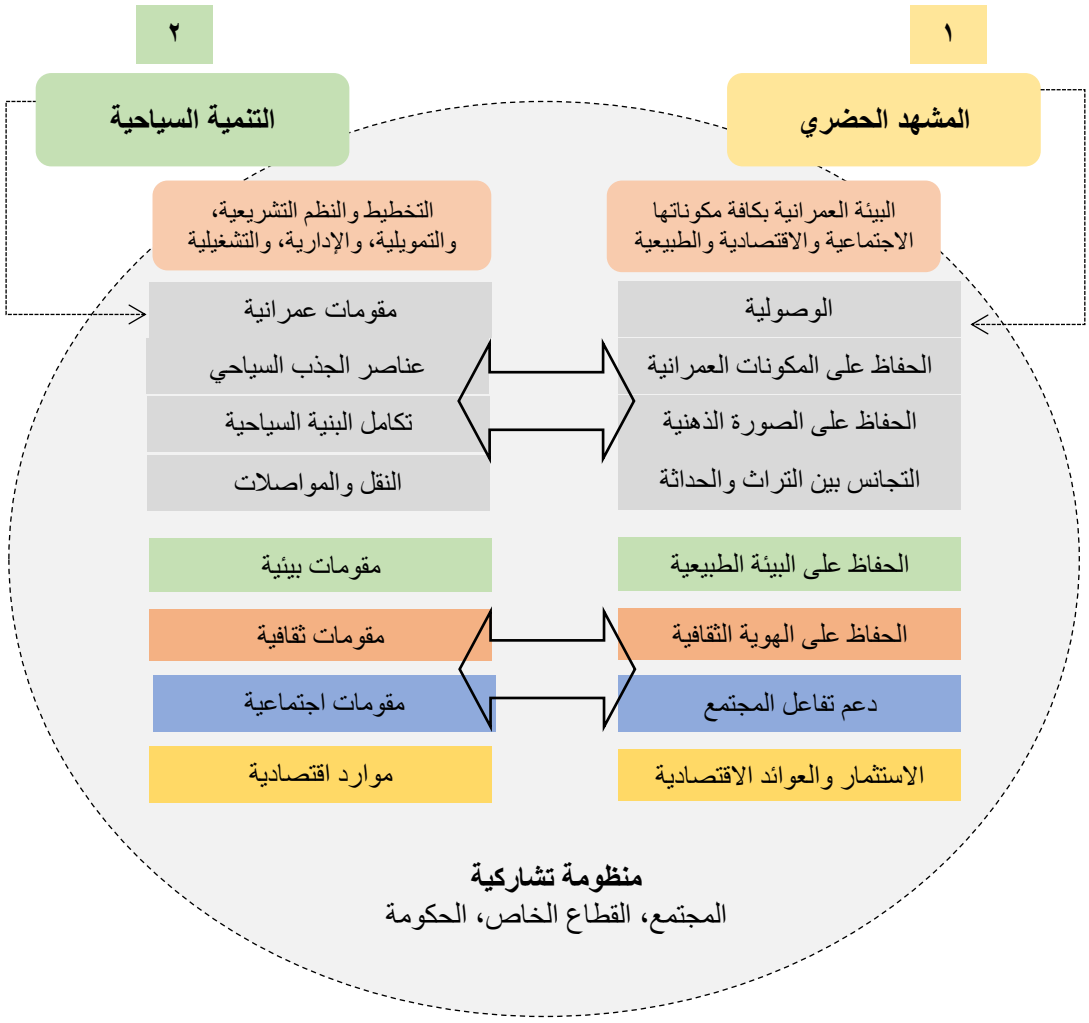

شكل رقم (١٠) الإطار المقترح لتحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية كمدخل للتنمية السياحة المستدامة

المصدر: الباحثون

٩- النتائج

تناولت الورقة البحثية صياغة الإطار النظري العام لمفهوم العلاقة بين المشهد الحضري والتنمية السياحية المستدامة. كما أكدت الدراسة وجود أبعاد مشتركة بينهما، حيث يضع التخطيط للسياحة المواقع التاريخية والتراثية - عمرانيا وطبيعيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا - في المرتبة الأولى باعتبارها السلعة الرئيسية التي يقصدها السائح، وفي نفس الوقت يركز تحسين المشهد الحضري على جميع جوانب البيئة (سواء العمرانية والطبيعية)، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية. لذلك، فإن تحسين المشهد الحضري يعد داعم قوي للتنمية السياحية المستدامة، ويزيد

من جاذبية المكان للسياحة، وإذا ما فقدت المواقع التاريخية والتراثية جاذبيتها للسائحين فإن الخدمات والتسهيلات السياحية القائمة بها تفقد الطلب عليها. وبناء على ما ورد، فقد توصلت الورقة البحثية إلى النتائج التالية:

[١] أن للمشهد الحضري أبعاد واضحة، والتركيز على تطوير تلك الأبعاد يعود بشكل الإيجابي على عناصر المشهد الحضري وجودته.

[٢] وجود علاقة بين المشهد الحضري والتنمية السياحية، تتحقق من خلال تحسين مكونات المشهد الحضري للبيئة العمرانية ومكوناتها، لتحقيق الجذب السياحي، من خلال دعم مقومات التنمية السياحية المستدامة.

[٣] تنطوي مشاريع تحسين المشهد الحضري على مبدأ شمولي لا يقتصر على الجانب البصري أو المادي، بل إدراك القيم المتعلقة بالمكان بما في ذلك البعد الثقافي، والأنساق الاجتماعية، والوصولية، وتكامله مع المحيط العمراني وبشكل يساهم في استثماره سياحياً.

[٤] تحافظ مشاريع تحسين المشهد الحضري في المدن على تكامل العلاقة المتوازنة بين العناصر المادية، والأبعاد الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية.

[٥] تعكس مشاريع تحسين المشهد الحضري للمناطق التاريخية القيمة التاريخية والثقافية والبيئة المحلية والقيم الاجتماعية.

١٠ـ التوصيات

هناك العديد من الأطراف المشتركة والتي لها دور في عملية تحسين المشهد الحضري، ابتداءً من الساكن في المدينة، والمختصين في مجالات التصميم العمراني والمعماري، والجهات المختصة والمسؤولة عن صياغة الاشتراطات، ولها الصلاحيات في إصدار القرارات والأنظمة للمحافظة على المناطق التاريخية والتراثية. وبناء على ما توصلت إليه الورقة البحثية من نتائج فإنه يمكن صياغة التوصيات كالتالي:

[١] تطوير خطة استراتيجية لدعم السياحة في المناطق التاريخية من منطلقات تكاملية تسعى في مجملها إلى تحسين المشهد الحضري لتلك المناطق بشكل متوازي مع دعم المقومات السياحية في المنطقة ككل وبما يحافظ على توحيد الجهود وتكاملها في إطار واحد.

[٢] سن عدد من الاشتراطات وإصدار كود بناء خاص بالمناطق التراثية يحدد الارتفاعات المسموح بها، ومواد البناء المستخدمة، وأنماط الفتحات وأحجامها، وذلك للتحكم بالشكل المادي للبيئة العمرانية، وضمان عدم إدخال عناصر جديدة تسبب تشوهات في المشهد الحضري، كما يشمل الكود اشتراطات للوحات المحلات التجارية، والألوان المستخدمة وأحجامها المسموح بها لتحقيق الانسجام في المظهر العام للمكان.

[٣] تكليف جهة رقابية معينة من الجهات المختصة، للإشراف الفعال على التنفيذ وتأكيد الالتزام بالاشتراطات والتقيد بالأنماط المعمارية، وأنواع التشطيبات الخارجية من ألوان ومواد بناء.

[٤] تقديم التسهيلات اللازمة لمن يرغب في الاستثمار السياحي من خلال إعطاء التصاريح والتحفيزات والقروض الميسرة، لزيادة المنتج السياحي وجذب المستثمرين.

[٥] إشراك المجتمع المحلي والهيئات المجتمعية والأكاديميين والطلاب في التشاور وصناعة القرار، وإشراكهم في عمليات التطوير من خلال الأعمال التطوعية والمساهمات البحثية.

المراجع
المراجع العربية

أبو العيون أشرف، عبد الوهاب أحمد، مرسي منال، جمال عبد الحميد. (٢٠١٩). الفراغ العمراني. دراسة بصرية لعلاقة الشكل والمضمون ,Journal of Advanced Engineering Trends (JAET) . Vol.38, No.2، ٤٥-٦٩.

أحمد أبو السعود حسن. (مارس, ٢٠١٤). الهوية والعولمة" نحو مدخل نظري يدعم النتاج البنائي هوية عمرانية مميزة". مجلة العلوم الهندسيةVol.42 No.2 ، الصفحات ٥٢٧-٥٤٧.

أشرف بسوني خليل. (٢٠١٦). أثر التكنولوجيا الحديثة على المشهد الحضري لمدينة الرياض. رسالة ماجستير. الرياض: قسم التخطيط العمراني، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود.

الرؤية الوطنية.(2020). Retrieved from http://vision2030.gov.sa

الزامل، و. (٢٠٢١). الشراكة المجتمعية المحلية كمدخل لتفعيل الاستثمار في مواقع التراث العمراني في المملكة العربية السعودية. مجلة البحوث الهندسية في جامعة المنوفية.ERJ, 327-337

الزامل, و. (٢٠١٨). إستثمار مواقع التراث العمراني كمدخل لدعم الأسر المنتجة. مجلة المدينة العربية, ٢١.

اليزيدي، ن., & الزامل, و. (٢٠٢١). سياسات الحفاظ على التراث العمراني لأواسط المدن التاريخية: وسط مدينة جدة التاريخية حالة دراسية. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية.

بسام الرميدي. (٢٠١٨). التخطيط السياحي المستدام كمدخل لتحقيق التنمية السياحية المستدامة في مصر. مجلة الاقتصاد والقانون، كلية السياحة والفنادق، جامعة مدينة السادات، ١٤-٥٩.

صبيح لفتة فرحان الزبيدي. (٢٠١٦). التلوث البصري في المشهد احضري- تحليل بصري لمحاور منتخبة في مدينة كوتWasit Journal of Engineering Science .، ١٧٨-٢٠٨.

صكوشي حاسين. (٢٠١٩). مدى مساهمة قطاع السياحة في تنمية إيرادات الدولة بالجزائر. مجلة البشائر الاقتصادية المجلد الخامس العدد الثالث ديسمبر، ٦٩١-٧٠٦.

صلاح الدين زين. (٢٠١٦). دراسة لفرص وتحديات التنمية السياحية المستدامة في مصر. المؤتمر العلمي الدولي الثالث حول القانون والسياحة ٢٦-٢٧ إبريل. طنطا، مصر: كلية الحقوق، جامعة طنطا.

عبد الرحمن عبد النعيم عبد اللطيف. (٢٠١٠). التغيرات في النسيج العمراني- ثلاث أدوات للتحليل. المؤتمر المعماري الدولي الثامن- العمارة والعمران قضايا معاصرة (الصفحات ٢-١٩). أسيوط: كلية الهندسة جامعة أسيوط.

عساف شذى. (٢٠١٨). التحولات الحضرية وأثرها على المشهد في كفر عقب. فلسطين: جامعة بيرزيت.

عمر ابراهيم محمد حسين. (٢٠١٧). تقييم الفراغات الحضرية الأثرية دراسة حالة مدينة الأقصر رسالة ماجستير. قنا: كلية الهندسة جامعة قنا.

وزارة السياحة. (٢٠١١). الإستراتيجية العامة لتنمية السياحة الوطنية المحدثة. الرياض: وزارة السياحة.

يحيي محمد البسام. (٢٠٠٥). التخطيط السياحي المستدام للساحل الشرقي المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير. الرياض: قسم التخطيط العمراني، كلية العمارة والتخطيط جامعة الملك سعود.

English Resources

Al-Askary, A. A., & Al-Kaissi, A. H. (2016). Visual integration of historic Cities Centers. IRAQI Journal of Architecture and planning, 81-107.

Branhult, A. (2013). Historical perspectives on landscape and contemporary planning challenges. Sweden: Självständigt arbete vid LTJ-fakulteten, SLU- http//stub.epsllon.slu.se.

Burgi, M. (2004). Driving forces of landscape change. Netherlands: Kluwer Academic.

Conzen, M. a. (1981). The urban landscape: historical development and management. London: Academic Press.

Cullen, G. (1961). Townscape. London: architectural press.

Fairclough, G. (2016). Essentially cultural: perspectives on landscape from Europe. Landscape Journal, 35(2), 149-166.

Hough, M. (1990). Out of place: Restoring identity to the regional landscape. Yale University Press.

Kaymaz, I. (2013). Urban Landscapes and Identity. In M. Ozyavuz, Advances in Landscape Architecture. London: InTech.

Lerario, A., & Di Turi, S. (2018). Sustainable Urban Tourism: Reflections on the Need for Building-Related Indicators. Sustainability, 1-25.

Lynch, K. (1960). The image of the city. Massachusetts Institute of Technology London: M.I.T. Press.

Moughtin, C., Cuesta, R., Sarris, C., & Signoretta, P. (2003). Method and Techniques, Urban Design. Routledge.

Parolek, D. G., Porolek, K., & Crawford, P. C. (2008). Form-Based Codes, A Guide for Planners, Urban Designers, Municipalities, and Developers. America: WILEY.

Polat, A. (2015). Visual Quality Assessment in Landscape Architecture. International Institute of Social and Economic Science, No. 2804614.

Shokry, H. (2009). Townscape process; towards a sustainable urban form in Historic Cairo. Culture and Space in the Built Environment (pp. 1-11). Istanbul: International IAPS-CSBE and the IAPS – HOUSING Network.

Spreiregen, P. D. (1965). Urban Design: the Architecture of Towns and Cities. New York: McGraw-Hill.

Vanderhaegen, S., & Canters, F. (2017, November). Mapping Urban form and function at city block level using spatial metrics. Landscape and Urban planning, pp. 399-409.